

مفاهيم القرآن

(42) 2. (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُمْ فَإِنَّكُمْ أَضَلُّوا عَلَىٰ نَفْسِكُمْ وَإِنْ اهْتَدَيْتُمْ فَإِنَّكُمْ تَهْتَدُونَ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) . (1) ترى أنَّ الآية تنسب الضلالة إلى نفس الإنسان، والهداية إلى وحيه سبحانه إليه، مع أنَّ الهداية والضلالة كلاهما من الله سبحانه ، وما هذا إلاَّ لأنَّه سبحانه قد هبَّأ كافَّة وسائل الهداية للإنسان منذ أنَّ خُلِقَ إلى أنَّ يُدرج في أكفانه، وهي عبارة عن تزويده بفطرة التوحيد وتعزيزها ببعث الأنبياء والمرسلين ، والعقل السليم، إلى غير ذلك من أدوات الهداية، فمن انتفع بها فقد اهتدى، فصحَّ أن يقال: إنَّ الهداية من الله لأنَّه زوَّد الإنسان بوسائلها، و من لم ينتفع بها فقد ضلَّ فصحَّ أن يقال (إن ضللت فإنَّما أضلَّ على نفسي). وبهذا المضمون قوله سبحانه: (مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَنَّا) (2) 3. (وَقُلِ الْحَقُّ مِنِّي رَبِّكُمُ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْوِ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) . (3) ولا تجد في القرآن الكريم آية أكثر نصاعة في حرية الإنسان من هذه الآية، وقد صبَّ شهيدنا الثاني (909 – 966هـ) مضمون هذه الآية ضمن بيتين، حيث قال: لقد جاء في القرآن آية حكمة * تدمر آيات الضلال ومن يُجبر وتُخبر ان الاختيار بأيدينا * فمن شاء فليؤمِّن و من شاء فليكفر _____ (1)سبأ: 50، (2)الاسراء: 15، (3)الكهف: 29.